الاستئناف النَّصِّيّ في الخطاب المَكِّيّ
تمثيل المضمون أنموذجاً

أ. د. عبد الجبار عبد الأمير هاني
حسين شويل مطرود
كلية الآداب / جامعة البصرة

الملخَّص

يهدف البحث في الاستئناف إلى الكشف عن العلاقات الدلاليَّة التي تربط بين أجزاء الخطاب ، بوصف الاستئناف مبدأ دمجٍ دلاليّ ، ويُعدُّ التمثيل أحد الأنواع التي يتحقَّق بها الاستئناف[١] ؛ وإنَّ استعماله في الخطاب المَكِّيّ يُمَثِّل صورة جليَّة من صور تعالق نصوصه ، وقد وقف البحث على أنماط التمثيل فجعلها على قسمين ، خارجيَّة وداخليَّة على وفق علاقتها بالخطاب المَكِّيّ ، أو عالمه المعرفيّ ، ووجد أنَّ التمثيل يشكِّل رمزًا بين أبناء ذلك الخطاب ، وقد يكون التمثيل بؤرة تُلفت نظر المتلقِّيّ لكثرة تكريره ، ويشكِّل عنصرًا تداوليًّا يقتضي الاتّحاد المعرفيّ بين المتواصلين عن خلفيّات الحوار ، وكلُّ ذلك يعدُّ من دقائق البحث ، والمحور الأهمّ هو الكشف عن السمات الدلاليَّة التي تربط بين أجزاء الخطاب ، لتبدي تماسك النصوص واستمراريَّتها ، ويتجسَّد ذلك بأبسط صوره باستدعاء نصّ يتضمَّن سردًا ، أو واقعة نصِّيَّة ؛ تناسب السياق الذي استُدعِيَتْ له ، فتكون علاقة تحوُّل الذكر الأوَّل إلى مُشبَّه به نوعًا من أنواع استئناف النَّصّ في الخطاب المَكِّيّ .

Summary

The research aims at appealing to reveal the semantic relationships that link the parts of the speech, describing the appeal as a principle of semantic incorporation, and representation is one of the types that the appeal is achieved ; and its use in Meccan discourse represents a clear form of its related text. The representation made it in two parts, external and internal according to its relationship with the Meccan discourse, or its epistemic world, and found that the representation

constitutes a symbol among the sons of that discourse, and the representation may be a focus that attracts the recipient's attention to its frequent reflection, and it is a deliberative element that requires the knowledge union between the You communicate about the backgrounds of the dialogue, and all of that is one of the minutes of the research, and the most important axis is the disclosure of the semantic features that link the parts of the speech, to show the coherence of the texts and their continuity, and this is embodied in its simplest form by invoking a text that includes a narration, or a textual event; fits the context that was called for, The relationship of the conversion of the first male to a similar kind of resumption of text in Meccan discourse .

التمثيل في العربيَّة : المَثَلُ في اللغة النمطُ ، وتمثيل الشيء بآخر مثله تشبيهٌ ، واسم المشبَّه تِمثالًا ، والمصدر تَمْثالًا ، والمماثلة تكون بين المتَّفقين في الجنس[٢] ، وفي قوله تعالى : {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ}[٣] ، أُطْلِق (المُثُلات) على الأمم الخالية[٤] ، وتباينت آراء البلاغيين فمنهم من رأى أن التمثيل مرادف للتشبيه[٥] ، ومنهم من رأى أنَّ بينهما علاقة الخصوص والعموم من وجه ، إذْ كلُّ تمثيلٍ تشبيه ولا عكس[٦] ، قال العلويّ : ((اعلمْ أنَّ التمثيل نوع من أنواع البيان . وهو مخالف للتشبيه ، فإنَّ التشبيه إنَّما يكون في المظهر الأداة ، وهذا نوع من الاستعارة ، وهو معدود من أنواع المجاز ، وإنمَّا قلنا إنَّه من الاستعارة من جهة أنَّ الاستعارة حاصلة فيه ، وإنَّما تقع التفرقة من جهة أنَّ الوجه الجامع ، إنْ كان منتزعاً من عدة أمور فهو التمثيل ، وإنْ كان مأخوذًا من أمرٍ واحد فهو الاستعارة))[٧] ، وعلى وجه العموم حُدَّ التمثيل بأنَّه ((إثْبَات حكم فِي جزئيّ لوُجُوده فِي جزئيّ لِمَعْنى مُشْتَرك بَينهمَا))[٨] ، أمَّا بالنسبة لتحقُّق شرط الوجه فهو ((ما كان وجهه منتزعًا من متعدِّد : أمرين أو أكثر ؛ بأنْ يكون لكلٍّ من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع شيئين أو أشياء قد تضامَّت وتلاءمت حتى صارت شيئًا واحدًا))[٩]

التمثيل في علم لغة النَّصّ : والتمثيل في علم لغة النَّصِّ نوع من أنواع تحقيق الاستئناف[١٠] ، إذْ تقتضي الحاجة إلى التمثيل بالحمل على وجه العموم ، فيُستأنَف المحتوى القضويّ بما يُحيل إلى بِنْيَتِه القضويَّة ؛ بغية إبلاغ القصد الذي سيق لأجله ؛ لأنَّ التمثيل يشكِّلُ عاملًا دلاليًّا بوصف الأخير ((يخصُّ ما يريد مستخدم العلامات قوله ، أي معنى الفكرة التي يريد إبلاغها))[١١] ، وتُسهم آليَّة التمثيل في جَسْدنة المُمَثَّل به عبر استحضار الواقعة ذهنيًّا ، بوساطة المعرفة بعالَم النَّصِّ ، وتقع بين سياق الذكر الأوَّل للمضمون وسياق استئنافه علاقة اقتضاء مقاميَّة ، حيث يكون المقام ((حاملًا لغاية أو لغايات متعدِّدة وحاملًا معنًى محايثًا يتقاسمه

فاعلون ينتمون إلى ثقافة واحدة . وتندرج الممارسات الخطابيَّة في مقامات محدَّدة تارة بشكل ضمنيّ وطورًا بشكل تصريحي مخصوص)) [١٢] ، فبدلًا من ((أنْ يكون فهم القصد الضمني في النصوص يتوقّف على استنباط المعاني الخفيَّة والدلالات الضمنيَّة ، ولا يتأتّى ذلك إلّا بقراءة النصِّ قراءةً تحليليَّة متعمِّقة ...))[١٣] يشكِّل تمثيل المضمون عاملًا مساعدًا في الكشف عن تلك العلاقات الدلاليَّة ، بل قد لا يقتصر التمثيل على محتوى قضيَّة معيَّنة ، فيتعدّاها إلى استئناف مضمون الفقرة ، أو الواقعة الجزئيَّة ، فترى ما يحيل إلى واقعةٍ جزئيَّةٍ ما يُساق على وفق ما ينسجم مع سياق النّصِّ دلاليًّا .

البعد الرمزيّ للتمثيل :

هناك علاقة ما تقوم بين جملةٍ ما وواقعة ، هذه العلاقة تجعل من الجملة رمزًا لتلك الواقعة في الخطاب[١٤] ، ويقوم تمثيل المضمون مقام الرمز المتجسدن ، شريطة اعتماد المتلقِّي على مرجعيّاته الثقافيَّة التي لا تنفكّ عن عالم النَّصِّ ؛ لأنَّ ((الرمز يشتغل كتمثيل قريب لشيء بعيد بالنسبة إلى الفاعليّات الإدراكيَّة الذهنيَّة المتَّجهة صوب هذا الشيء (وبخاصة في غيابه))) [١٥] ، وأرى أنَّ الشفرة التي يحقِّقُها الرمز تعتمد في تفكيكها على إدراك المتلقِّي لعوالم النّصوص المتعالقة عبر تمثيل المضمون بوصف هذا التمثيل رمزًا لذلك المضمون ؛ لأنَّ المعنى الضمني– كما يراه براون ويول – له ملامح مستقاة جزئيًّا من المعنى المباشر[١٦] ، ولا ريب في أنَّ الخطاب قد يكون حاملًا لهذا المعنى المباشر ، أو لا ، وانطلاقًا من هذه الرؤية يكون التمثيل إمَّا داخليًّا أو خارجيًّا .

التمثيل الداخلي :

إنَّ الانفتاح اللانهائيّ للنَّصِّ يمكِّن المتلقّي من اكتشاف سلسلة لا متناهية من الروابط ، وهذا ما يوحي بتعدُّد معطيات ترابطه[١٧] ، وإنَّ وجود سمات معجميَّة خاصَّة أو عامَّة ، أو صرفيَّة[١٨] على المستوى السطحيّ قد تكون جزئيَّة بين التمثيل بوصفه رمزًا ومرجعه ، فتكون عاملًا مساعدًا في تفكيك الشيفرة التي يحقِّقها الرمز ، شرط حدوث التكافؤ الدلاليّ والتطابق الإحاليّ بين العناصر الحاملة لتلك السمات ، فضلًا عن السياق التواصليّ للرمز ومرجعه ، وهذا ينمُّ عن انفتاح النسق الدلاليّ للبِنْيَة الشاملة الكبرى للخطاب ، ما يجعلها قابلة لتضمُّنِ الوقائع بوصفها بِنيات جزئيَّة ينسجم مفهومُها والمفاهيم التي تحملُها بِنْيَة الخطاب ، كما ينمُّ عن كون تمثيل المضمون – بوصف الأخير بِنْيَة جزئيَّة – علامة لسانيَّة على وجود بِنْيَة شاملة للخطاب .

وتأخذ أدوات التشبيه (الكاف ، وكأنَّ ، ومثل)[١٩] وظيفتها في استئناف المضمون بوساطة التمثيل ، لتسهم في الدمج الدلاليّ لمضمون النَّصِّ . ولا يختلف علماء العربيَّة في نظرتهم إلى وظيفة (الكاف) ، فهو حرف تشبيه ، يسبق المشبَّه به ، سواء أكان مجرَّدًا أمْ مبنيًّا مع غيره[٢٠] ، وقد ورد استئناف المضمون بوساطة التمثيل بـ(الكاف) مجرَّدًا في مواضع متفرِّقة من الخطاب المكِّيّ ، ولكنَّ المضمون المُمثَّل به يحيل تارة إلى مضمون سابق أو لاحق في الخطاب فيكوِّنُ استئنافًا نصيًّا ، والعلاقة – وجه الشبه – المنتزعة بينهما داخليَّة ،

منه قوله تعالى : {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ **كَذَلِكَ** نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[٢١] ، يتجلّى في النَّصِّ تمثيل (الحياة الدنيا) بمركّب (ماءٍ أنزلناه – اختلط به نبات ... – أَخَذَتِ الأرضُ زخرفها – ازَّيَّنَتْ ...) ، ويبدو أنَّ علاقة العِلِّيَّة قائمة بين القضايا المتوالية التي مُثِّل بها ، فإنَّ إنزال الماء سببٌ لاختلاط النبات والأخير سببٌ لزخرف الأرض وزينتها ، والزينة سببٌ لغرور أهلها ، لذا يكون إنزال الماء علَّةً رئيسةً لكلِّ ما تلاها ، وهذا التمثيل الجزئيّ رمزٌ لمضمون قوله تعالى : {وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[٢٢] ، و {اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ }[٢٣] ، واستؤنِف هذا التمثيل عبر الخطاب المَكِّيّ في قوله تعالى : {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً }[٢٤] ، إذْ تبدو هيمنة المحتوى القضويّ (إنزال الماء) متجسِّدةً ببِنْيَتِه القضويَّة ذات المحمول الفعليّ (أَنْزَل) الذي حُمِلَ على المستبدل الضميريّ (نا المتكلّمين) من (أَنْزَلْناهُ) الذي يحيل إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى بعيد إلى (الله تعالى) ، وفي ذكره الأوَّل والثاني حُمِل المحمول الفعليّ (أَنْزَلَ) على الضمير المستتر (هو) الذي يحيل في الأوَّل إحالة داخليَّة قبلية ذات مدى بعيد إلى (الله تعالى) ، وفي الثاني يحيل إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى قريب إلى (الله تعالى) ، ويكشف التطابق الإحاليّ للمستبدلات الضميريَّة ذات المرجع الإحاليّ الواحد عن وحدة الموضوع القضويّ (فاعل الإنزال) ، ويكشف التكرير البسيط للاسم النكرة (ماء) والاستبدال الضميريّ عبر الضمير المتَّصل (الهاء) من (أنزلناه) عن استئناف الموضوع الثاني ؛ لذا يُحكمُ على المحمول بأنَّه ثنائيّ القيمة ذو خصيصة واجبة تُكمنُ في توقّف الحياة على إنزال الماء ، وتقوم بين الذكر الأوَّل للمضمون واستئنافه علاقة تمثيل جزئيّ ، إذْ تدخل المعلومات الجديدة (اخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ... أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ... ازَّيَّنَتْ ...) لتنبِئ عن أحداث جزئيَّة ، تُشكِّلُ مع إنزال الماء بداية العمليَّة الإجرائيَّة وتطوّرها عبر توالي الزمن الماضي المتمثِّل بالمحمولات الفعليَّة ذات الزمن الواحد ، وهذا ينمُّ عن وحدة العمليَّة الإجرائيَّة ، وتأتي الأحداث (ظَنَّ أَهْلُهَا ... أَتَاهَا أَمْرُنَا ... جَعَلْنَاهَا حَصِيداً) لتمنح النَّصَّ جِدَّة المعلومة عبر المحمولات الفعليَّة المتوالية التي تربط بينها علاقة العِلِّيَّة ، مع استمرار زمن المحمولات الماضي الذي يسير بالعمليَّة باتجاه نهايتها .

ويبدو جليًّا تحقُّق التمثيل في انتزاع وجه الشبه القائمّ على المعنى المتحصّل من مجموع القضايا ، التي لكلٍّ منها معناه الخاصّ ، وفي الوقت ذاته تؤدِّي بمجموعها معنًى واحدًا ، وما سيقت إلَّا لتؤدِّي هذا المعنى الذي

يُستفاد من نسقٍ غير قابلٍ للتصرُّف تقديمًا أو تأخيرًا أو حذفًا ؛ لأنَّ هذه القضايا اجتمعتْ لتعبَّر عن مراحل متعاقبة يتعلَّق اللّاحق منها بما سبقه ولولاها لما استقام التمثيل[٢٥] .

والقصد من التمثيل توجيه الخطاب إلى الإنسان لاستثارة شعوره بوساطة بيان حطام الحياة الدنيا وقِصَر عمرها وصيرورتها إلى الزوال[٢٦] ، ولا يقف التمثيل على مستوى الخطاب في هذه المتواليات القضويَّة بل يأتي استئناف مضمون سلسلة من القضايا في قوله تعالى : { كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ }[٢٧] . فقد وردت (الكاف) مبنيَّة مع (أنْ)[٢٨] في تمثيلٍ لسلب مضمون أحداث القضايا (اخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ... أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ... ازَّيَّنَتْ ...) ، إذْ يُقال لِما فَنِيَ : ((كأنْ لَمْ يَغْنَ بالأمسِ))[٢٩] ، فالمحمول الفعليّ (تَغْنَى) محمول على الضمير المستتر (هي) الذي يحيل إحالة قبليَّة ذات مدى بعيد إلى الأرض ، ويُعدُّ المحمول الفعليّ وموضوعه – بسلب النفي عنه – مُكثِّفًا مضمونيًّا اختُزِلتْ به مضامين القضايا (أَخَذَت الأرض زخرفها) ، (ازَّيَّنَت) ؛ حيث تشترك محمولات هذه القضايا في الحمل على موضوع واحد هو (الأرض) ، أو المستبدل الضميريّ (هي) الذي يحيل إليها ، فتبدو الأرض الموضوع القضويّ البؤرة ؛ لِغَلَبَة استئنافه بصورة التكرير البسيط ، والاستبدال الضميريّ ، وهذا يعني أنَّ الأرض هي الممثَّل به بشكل غير مباشر ؛ لأنَّ القضيَّة الحمليَّة المتضمِّنة لها تقع ضمن متواليات قضويَّة مُمَهِّدة لما تكون عليه الأرض من زخرف وزينة ، تلك الممهِّدات التي يمكن اختزال محتواها القضويّ بـ (غَنَتِ الأرضُ)، فكان التمثيل بالعِلَّة (كماءٍ أَنْزَلْناهُ) وأُريدَ به المعلول (أَخَذَتِ الأرضُ ...) ، ثمَّ مُثِّل بسلب ما هي عليه من صورة (لَمْ تَغْنَ) مصطبغة بالزمن الماضي الذي يضفيه الظرف (الأمس) ؛ ليتّسق التمثيل مع أزمنة المحمولات الفعليَّة في الذكر الأوَّل ، واستئناف المضمون على هذا النحو ينبِئ عن استمراريَّة النَّصِّ وتماسكه عبر تعالق قضاياه في الخطاب المَكِّيّ .

وتأتي الكاف للتمثيل مبنية مع (ما) المصدريَّة[٣٠] ، ومن شواهدها قوله تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }[٣١] ، إذ مُثِّل بالقضيَّة الحمليَّة (أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم) وهذا تمثيل لمضمون المتواليات القضويَّة لأحداث إغواء إبليس لآدمَ وزوجه وهبوطهم من الجنَّة التي وردت عبر محمولات فعليَّة متعاقبة : { فَوَسْوَسَ لَهُمَا... وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا ... ۞ وَقَاسَمَهُمَا ... ۞ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ... ۞ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }[٣٢] ، وهذه الأحداث تقع ضمن عمليَّة إجرائيَّة واحدة تضمَّنتها قصَّة آدمعليه السلام[٣٣] ، وتقع بين التمثيل والمضمون الذي يحيل إليه علاقة منطقية ودلاليَّة ، فلو افترضنا السؤال عن القضيَّة الأولى التي وقعت ضمن تمثيل المضمون :

– كيف أخرج أبوَيْكُم ؟

– الجواب : وَسْوَسَ لهُما ... قالَ ما نَهاكُما ... قاسمَهُما ... دلّاهُما بغرور ... .

فيظهر جليًّا وجود علاقة العِلِّيَّة بين المُمَثَّل والمُمَثَّل به ؛ لأنَّ الإخراج من الجنّة الوارد في تمثيل المضمون سببه وقوع الأحداث المفصَّلة في القضايا التي تضمَّنها المضمون .

أمَّا بنية القضيَّة الحمليَّة (أَخْرَجَ أبوَيْكُم) فقد تشكَّلت من المحمول الفعليّ (أَخْرَجَ) الذي حُمِل على الضمير المستتر (هو) الذي يحيل إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى قريب إلى (الشيطان) ، والاسم المخصَّص بالإضافة (أبوَيْكُم) ؛ لذا فهو ثنائيّ القيمة ، له خصيصة الإمكان ، إذْ يتوقَّف الإخراج على فاعليَّة الفاعل وقابليَّة القابل ، فلم يكن واجبًا على الشيطان أنْ يفعله ولا على آدم وزوجه أن يقعا في هذه النتيجة .

وتحيل الكلمة العامَّة (أَبَوَيْن) التي خُصِّصتْ بالإضافة إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى بعيد إلى (آدم وزوجه) في قوله تعالى {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ }[٣٤] ، امَّا بِنى قضايا المضمون فقد تشكَّلت من المحمولات الفعليَّة (وَسْوَسَ ، قالَ ، قاسَمَ ، دَلَّى) التي حُمِلت على المُستبدل الضميريّ الضمير المستتر (هو) الذي يحيل إلى (الشيطان) إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى قريب ، والضمير المتّصل (هُما) الذي يحيل إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى بعيد إلى (آدم وزوجه) ؛ لذا تكون هذه المحمولات الفعليَّة ثنائيَّة القيمة ، لها خصيصة الإمكان ، ويظهر التطابق الإحاليّ بين عناصر الإحالة ومرجعيّاتها في تمثيل المضمون والمضمون ذاته ؛ إذْ تتَّفق الكلمة العامَّة (أَبَوَيْكُم) والمستبدل الضميريّ (هما) في الإحالة إلى (آدم وزوجه) ، ويحتفظ السياقان – سياق المضمون وتمثيله – بالمستبدل الضميريّ المستتر (هو) في إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى قريب إلى (الشيطان) ، وهذا يكشف عن اتفاق المدمجات النَّصِّيَّة في إحالتها إلى مرجعين إحاليّين ، كما أنَّ المحمول الفعليّ (أَخْرَجَ) الذي يشكِّل وبنيته القضويَّة عمليَّة إجرائيَّة يحيل إحالة داخليَّة قبليَّة إلى الأحداث المتعدِّدة المتمثِّلة بالمحمولات الفعليَّة التي ورد ذكرها في المضمون ، كما تتَّفق بنية المحمول الفعليّ (أَخْرَجَ) و(وَسْوَسَ ، قالَ ، قاسَمَ ، دَلَّى) في إحالتها إلى الزمن الماضي ، ويعني هذا وجود تطابق إحاليّ زمنيّ بين محمول العمليَّة الإجرائيَّة ومحمولات الأحداث ، وفي تمثيل المضمون استئناف له بقصد التنبيه من إغواء الشيطان ، بما تحمله هذه الواقعة من كيد يسفر عن عدائه المستمر لبني آدم منذ أبيهم[٣٥] ، وبذلك يكون استئناف المضمون عبر التمثيل قد كشف عن استمراريَّة النَّصِّ وتماسكه ، وهو من صور استئناف النَّصِّ في الخطاب المَكِّيّ .

وفي قوله تعالى : {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ }[٣٦] ، تمثيل لمضمون هلاك ثمود الوارد في قوله تعالى : {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ }[٣٧] ، فالمراد من البُعدُ هنا : الهلاك[٣٨] ، وهو مصدر نائب عن فعله (بَعُدَ) يُستعملُ في مقام ذمِّ الشيء المكروه كنايةً عن التحقير[٣٩] ، ويتجلَّى في القضيَّة التي تضمَّنت التمثيل المحمول الفعليّ (بَعِدَ) محمولًا على موضوعه (ثمود) ، وتأتي مطابقة المحمول الفعليّ لموضوعه بقرينة الإفراد والتأنيث المتمثِّلة (بتاء التأنيث) بوصف (ثمود) قبيلة[٤٠] ، واستئناف الموضوع (ثمودُ) عبر التكرير البسيط

لِذِكْرِه الأوَّل في قوله تعالى : {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ... }[٤١] ، ويُضمَّنُ وقوع الهلاك محمولات فعليَّة تدلُّ على كيفية الهلاك وزمنه (أَخَذَ ، أَصْبَح) ومدمجات نصِّيَّة تدلُّ على مكان الهلاك (دارهم أو ديارهم) ، ويُعدُّ المحتوى القضويّ (بَعِدَتْ ثمودُ) مكثِّفًا دلاليًّا لهلاك ثمود الذي هو نتيجة تتأتّى من متواليات قضويَّة لها بداية ونهاية ، تربط بينها علاقة العِلِّيَّة ، حيث تترتّبُ الأحداث في هذه الواقعة (قصَّة صالحعليه السلام) عبر محمولات فعليَّة يقع السابق عِلَّة للتالي منها ، فهذا التمثيل يحيل إلى مضمون ما سيق في قوله تعالى : { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۞ قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۞ وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۞ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۞ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ }[٤٢] .

ولسائلٍ أنْ يسأل : كيف بَعِدَتْ ثمودُ ؟

فيجابُ : بقوله تعالى : {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }[٤٣]

وقوله تعالى : { وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ }[٤٤] .

وما وجه المثل بين ثمود ومدين ؟

فيجاب : {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }[٤٥] .

وهذا يعني أنَّهما مشتركان في الكُفْر الذي كان علَّةً لاستئصالهم[٤٦] . وبذلك تكون علاقة التمثيل القائمة بين قضيَّة تمثيل المضمون والمضمون ذاته قد اختزلت كلَّ محتويات القضايا التي تسرد أحداث ما حلَّ بقوم صالحعليه السلام ، وهذا يبيِّن أثر تمثيل المضمون في الاستئناف النَّصِّيّ في الخطاب المَكِّيّ .

التمثيل البؤرة :

قد يقع تمثيل المضمون بؤرة نصِّيَّة لما يتمتَّع به من مدمجات نصيَّة لها أثر إحاليّ قبليّ وبعديّ ، ومن شواهده في الخطاب المَكِّيّ ما ورد في قوله تعالى : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[٤٧] ، يتجلّى تمثيل المضمون بأداة التمثيل – الكاف مبنيَّة مع ما المصدريَّة – والقضيَّة (كما أُمِرْتَ) ، ومحاولة تدبّر هذا التمثيل دون تتبّع متواليات الخطاب تُجْهِضُ أفكار المتلقِّي ؛ لأنَّ ((اللفظ المخاطَب (بفتح الطاء) به سوف يتحدَّد ... بالقصد الذي يكون للمتكلِّم منه عند النطق به والذي يدعو المستمع إلى الدخول في تعقُّبه مقاميًّا))[٤٨] لذا يُعدُّ هذا التمثيل رمزًا يُلْجَأُ في تفكيك شفرته إلى البحث عن ماهيَّة ما أُمِر به النبيّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في ما توافرت عليه تلك المتواليات القضويَّة من محتويات ، وعلى سبيل هذا التتبُّع كان التمثيل

استئنافًا لمضمون قوله تعالى : {قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[٤٩] ، وقوله تعالى : {لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[٥٠] ، وقوله تعالى : {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }[٥١] ، و {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }[٥٢] ، إذْ يُحيل التمثيل إلى ذكره الأوَّل إحالة داخليَّة قبليَّة ، ويحيل إحالة داخليَّة بعديَّة إلى قوله تعالى : {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }[٥٣] ، و{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ }[٥٤] ، و{وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ }[٥٥] ، و{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }[٥٦] ، إذْ تتشكَّل بِنْيَة قضيَّة التمثيل من المحمول الفعليّ (أُمِرَ) محمولًا على موضوعه نائب الفاعل المستبدل الضميري (التاء) الذي يحيل إحالة خارجيَّة إلى المخاطب (النبي محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ، وتتشكَّل بِنْيَة المحتويات القضويَّة للمضامين التي مُثِّل لها من المحمول الفعليّ والمستبدل الضميريّ ذاتهما ، إلَّا أنَّ المحمولات الفعليَّة في بِنْيات القضايا الأصل لها متعلِّقات تُفْصِح عن المعلومة ، أي : عن كنه الأمر الذي يوضِّحه الشكل التالي :

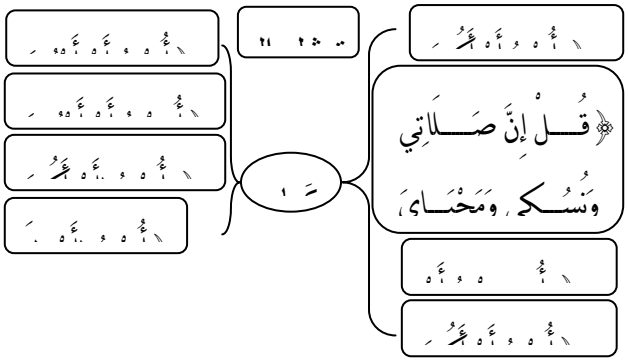

إذْ يظهر في الشكل توسَّط تمثيل المضمون بين أربع قضايا سابقة ، ومثلها لاحقة ، فتتجلَّى إحالته القبليَة والبعديَّة معًا لتلك البنيات القضويَّة ، ويُلحظ استئناف المحمول الفعليّ عبر التكرير البسيط مع الاحتفاظ بصيغة صرفيَّة واحدة (البناء للمفعول) ، واستئناف المستبدل الضميريّ الواحد (التاء) ، الذي يشترك في المضامين

جميعها في إحالته إلى مرجع واحد هو المخاطَب في التمثيل ، وهذا يُعين على استجلاء العلاقات بين تمثيل المضمون وذكره السابق أو اللّاحق وإنْ كان الذكرُ المُمثَّل به متعدِّد المدمجات النَّصِّيَّة ، وهذا ينمُّ عن استئناف المحتوى القضويّ للسلاسل القضويَّة باستعمال القضيَّة (أُمِرتَ) رمزًا لغويًّا يُحيل إلى تلك المضامين ، ويكشف عن دور الاستئناف عبر تمثيل المضمون – بوصفه بؤرة نصِّيَّة تضمن تماسك النَّصِّ[٥٧] – في الربط بين المتواليات القضويَّة ، واستمراريَّة المحتوى القضويّ التي أفْضَتْ إلى استئناف الموضوع النَّصِّيّ في الخطاب المَكِّيّ .

وفي قوله تعالى : {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[٥٨] ، يتجلَّى تمثيل المضمون بالاسم الموصول (ما) والمحمول الفعليّ المبني للمفعول (أُوتيَ) ، والموضوع (قارون) ، وهذا التمثيل يحيل إحالة داخليَّة قبليَّة إلى قوله تعالى : { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [٥٩] ، إذْ يكشف استئناف المحمول الفعليّ (آتى – أُوتيَ) عبر التكرير البسيط ، والموضوع (قارون) الذي استؤنِف عبر المستبدل الضميريّ (الهاء) من (آتيناهُ) عن استئناف المضمون بوساطة تمثيله ، ولقارئٍ أن يسأل : ماذا أُوتيَ قارون ؟ ، يجد الجواب عبر تتبُّعه الأفقي للخطاب في القضيَّة الحمليَّة في قوله تعالى : { آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ... }[٦٠] . إذْ يُحيل الموصول وصلته (ما أُوتيَ) عليها . وهذا ينمُّ عن إسهام الاستئناف بتمثيل المضمون في خلق سلاسل متماسكة تنبئ عن استمراريَّة النَّصِّ .

التمثيل والتخصيص :

يتباين شأن المستبدلات الضميريَّة والموصولة بوصفها مدمجات نصيَّة ذات سمات دلاليَّة عامَّة ، إذْ يطَّرد استئناف الذكر الأوَّل للاسم بمستبدل ضميريّ أو موصول فيتقدَّم الأخصّ على الأعمّ ؛ لاشتمال الثاني على سمات دلاليَّة عامَّة[٦١] ، وبذا يكون المدمج النَّصِّيّ رابطًا بين قضيَّتين بما يتوافر عليه من إحالة قبليَّة إلى ذلك الاسم ، ولكنَّ الإحالة البعديَّة تتميَّز بإثارة التشويق لدى المتلقِّي ؛ لتوقّعه معلومة جديدة[٦٢] ، وتقتضي هذه الإحالة تقدُّم الأعمّ على الأخصّ ، إذْ يحدث أنْ يُخصَّص ذلك المدمج النَّصِّيّ بما يرفع عنه إيغاله في الإبهام ، وفي قوله تعالى : {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ }[٦٣] استئناف عبر تمثيل مضمون مقولة طالما تردَّدت في الخطاب المكِّيّ على ألسنة الأوَّلين ، إذْ يُحيل المُمثَّل به على وجه الإجمال إحالة داخليَّة بعديَّة ذات مدى قريب إلى قوله تعالى : { قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } [٦٤] ، حيث تقع بين الذكر الأوَّل ومضمونه علاقة استئناف عبر التكرير البسيط للمحمول الفعليّ (قالَ) ، مع اتفاق المحمولين في إحالتهما إلى الزمن الماضي ، وكذلك استؤنِف الموضوع الأوَّل (الأوَّلون) عبر المستبدل الضميريّ (واو الجماعة) ، إذْ يُحيل

الثاني إلى الأوَّل إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى قريب ، ويحيل الاسم الموصول (ما) بوصفه عنصرًا أعمَّ إحالة داخليَّة بعديَّة ذات مدى قريب إلى المقولة التي خصَّصَتْهُ { أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ }[٦٥] ، ولذا أرى أنَّ تقديم العنصر الأعم لا يقتصر على جملة مدخل النَّصّ[٦٦] ، بل يمكن أنْ تتضمَّن القضايا الواقعة في ثنايا السياق هذا العنصر الذي يتمُّ تخصيصه فيما بعد . والاستئناف عبر تمثيل المضمون وما أحال إليه خير مثالٍ على تضافر المتواليات الجمليَّة التي خُصِّصَ بها الاسم الموصول (ما) ، حيث عُدِّتِ الآية التي تمثَّل الذكر الأوَّل مُفسِّرة للموصول وصلته الوارد في التمثيل[٦٧] ، ولا ريب في أنَّ لتمثيل المضمون إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى بعيد إلى قوله تعالى : { أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ }[٦٨] ، وقوله تعالى : { وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا }[٦٩] ، وقوله تعالى : { ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا }[٧٠] ، وهناك إحالة بعديَّة ذات مدى بعيد إلى قوله تعالى : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ }[٧١] ، و {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ }[٧٢] ، و{أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ }[٧٣] ، و{أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ }[٧٤] ، و{وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ }[٧٥] ، إلَّا أنَّ مجاورة تمثيل المضمون{بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ }[٧٦] للمضمون { قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ }[٧٧] يمنح المرجع الإحاليّ البَعديّ : الأثر الكبير في تخصيص ما احتوته بِنْيَة التمثيل من عنصر إحاليّ موغل في الإبهام ، ورَفْعِ التوهّم عن إحالة هذا العنصر إلى مقولات أُخر للأوَّلين .

التمثيل الخارجيّ :

قد تنعدم السمات المعجميَّة والصرفيَّة بين الرمز ومرجعه ، فيُصار إلى السمات الدلاليَّة التي تجمع بين خيوط الرمز والمحتوى الدلاليّ لمرجعه ، وقد أشار إلى هذا فان دايك في عبارته : ((وعلاوة على الأمارة المستنتجة من (الشكل) اللسانيّ فإنَّه ينبغي من جهة أخرى أنْ نُسلِّم أيضًا بالأمارة (أو البيِّنة) المحصّلة من معرفة (حدسيَّة) ضمنيَّة صريحة لدى مُسْتَعْمِلِي اللغة)) [٧٨] ، وهذا يعني أنَّ انتزاع العلاقة بين تمثيل المضمون والذكر الأوَّل له لا تعتمد على المعرفة بعالم النَّصِّ فحسب ، بل على المعرفة الموسوعيَّة للمتلقِّي بلغته وثقافة بيئته حيث يستعين بها على ربط المفاهيم واستجلاء تلك العلاقة القائمة على وفق مبدأ التعاون بين منتج الخطاب ومتلقِّيه[٧٩] .

ومن الشواهد على استئناف المضمون بوساطة التمثيل الخارجيّ قوله تعالى : {وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[٨٠] ، تتجلّى القضيَّة الحمليَّة (حَبِطَتْ أعمالُهُم)

بمحمولها الفعليّ (حَبِطَ) الذي حُمِلَ على موضوع واحد (أعمالُ) ، ويدلُّ المدخل المعجميّ لهذا الفعل على بطلان الشيء وعدم الانتفاع به[٨١] ، أي أنَّهم يرون أعمالهم صالحةً ، لكنَّها تسقطُ وتفسُد وتبطُل بسبب كفرهم[٨٢] ؛ لذا لا تنفعُهُم شيئًا يوم القيامة ، ويمكن اختزال المحتوى القضويّ لهذه المقولة بـ(لا ينتفعون بأعمالهم) ، وقد استؤنِفَ هذا المضمون بوساطة تمثيله في غير مورد من الخطاب المكّيّ منه في قوله تعالى : {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ }[٨٣] ، فإنَّ تمثيل الأعمال بالرماد في سياق الآية مضمونه عدم الانتفاع بالأعمال ؛ إذْ يتطاير الرماد وتتفرّق أجزاؤه ولا يبقى له أثر[٨٤] ، وبنظرة فاحصة بين القضيَّة التي احتوت التمثيل – (الذين كفروا ... أعمالُهُم كرمادٍ) – والقضيَّة التي ورد بها الذكر الأوَّل للتمثيل (الذين كذَبُوا ... حَبِطَتْ أعمالُهُم) يُدرَكُ أمران :

الأوَّل : يظهر أنَّ موضوع القضيَّتينِ واحد (أعمالُ) خُصِّصَ بالإضافة إلى المستبدل الضميريّ (هُم) ، الذي يُحيل في الذكر الأوَّل على (الَّذينَ كذَّبوا) ، وفي التمثيل على (الَّذينَ كفروا) ، فيتبادر إلى الذهن وجود مفارقة بين الَّذين كذَّبوا والَّذين كفروا ، والحقيقة أن بين الكفر والتكذيب بآيات الله تعالى واليوم الآخر علاقة سببيَّة ؛ لأنَّ الباعث على الكفر هو ذلك التكذيب[٨٥] ، وإنَّ حبوط العمل ملازم لموت الإنسان كافرًا[٨٦] .

الثاني : إنَّ مضمون عدم الانتفاع بالأعمال تجسَّد تارةً في الذكر الأوَّل (حَبِطَتْ أَعْمالُهُم)، وتارة في التمثيل (أَعْمالُهُم كَرَمادٍ ...) ، وبذا يكون البعد الدلالي للاستئناف تمثيلًا لمضمون المضمون ؛ لأنَّ الذكر الأوَّل وتمثيله يلتقيان في علاقة خارجيَّة محتواها عدمُ الانتفاع ، وهذه العلاقة منتزعة من المعنى اللغوي للحبوط الذي يلائم العرف البيئيّ للمجتمع المَكّيّ فضلًا عن غيره ، إذْ تُصاب الدابَّةُ به من كلإٍ ينفخُ بطنَها وتموت فلا تنتفع بمّا أكلت[٨٧] . لذا فليست هناك سمات معجميَّة أو صرفيَّة تقود إلى القول بالعلاقة بين التمثيل (الرماد) و(الحبوط) ، سوى وجود علاقة خارجيَّة تُستشفُّ من عدم الانتفاع من ذلك الانتفاخ المُمثّل بالرماد المكدَّس الذي لا تبقي له الريح من أثر[٨٨] .

وكذلك استؤنِف هذا المضمون في قوله تعالى : {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً }[٨٩] ، أي : كالهباء ، وهو الأجسام المتطايرة في الهواء ، التي يكشف عنها شعاع الشمس عند دخوله من منفذ ما ، ووُصِف بالمنثور ؛ لأنّ الريح تسفي به وتنثره[٩٠] ، وفي هذا كلِّه استئناف لمضمون ضياع الأعمال وعدم الانتفاع بها[٩١] بوساطة تمثيل المضمون .

البعد التداوليّ لتمثيل المضمون : بما أنَّ الوظيفة التواصليَّة للُّغة كما عبَّر عنها (بينيت) ((تتمثَّل أساسًا في سعي المتكلّم إلى إبلاغ المتلقّي بأمر ما أو إلى نسبة عمل ما إليه))[٩٢]، فإنَّ التمثيل يؤدِّي أثره التواصليّ في تحقيق سعي المتكلّم لمقاصده ، إذْ يُشكِّل التمثيل مصاديق لغويَّة لمفاهيم تُعدُّ الحجر الأساس للتداوليَّة .

الافتراض المسبق :

يحتوي الخطاب على مسلَّمات خطابيَّة تقع مرجعًا إحاليًّا بوصفها افتراضات مسبقة لدى أطراف الخطاب[٩٣] ، ويتباين رصيد الافتراضات المسبقة لدى المشاركين بحسب درجة الصلة ووثاقتها بينهم ، فكلَّما كان التعارف بينهم وثيق كان رصيد الافتراضات المسبقة مرتفعًا[٩٤] ، ويشكِّل تمثيل المضمون عنصر الإحالة على تلك المسلَّمات ؛ إذْ لا يمكن التمثيل دون وجود افتراض مسبق ؛ لذا أرى أنَّ التمثيل مظهرٌ لعلاقة دلاليَّة كامنة تحملُ معلومات ضمنيَّة بناءً على ما ذهب إليه زتسيسلاف واورزنياك ((توجد في النصوص إلى جانب علاقات دلاليَّة جليَّة ، تتضمَّن معلومات مباشرة ، علاقات دلاليَّة كامنة ، تُفهَمُ معها بوصفها معلومات غير مباشرة لمتلقِّي النَّصِّ . ونعدُّ المعلومات الضمنيَّة بوجه خاص في صورة فروض مسبقة من كوامن النَّصِّ الدلاليَّة))[٩٥] ، ولا شكَّ في أنَّ الافتراض المسبق يُعدُّ منطلقًا لتحقُّق الاستلزام الحواريّ ؛ إذْ لا يتحقَّق الاستلزام الحواريّ دون وجود مسلَّمات بين الأطراف المشاركين في الخطاب ، ولا يُشترط أنْ تكون هذه المسلَّمات نصِّيَّة ، بل قد تُستمدُّ من العرف الاجتماعي والبيئيّ ، وسياقات مقاميَّة – نصِّيَّة سابقة .

ومن شواهد ماورد في الخطاب المَكِّيّ لاستئناف المضمون عبر التمثيل قوله تعالى : {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }[٩٦] ، إذْ يكمن في تمثيل المضمون في القضيَّة (كَمَا أَمِنْتُكُمْ على أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ) ما يوحي باتّفاق شركاء التواصل (النبي يعقوب عليه السلام وبَنِيْه) على وجود سبب دعا المتكلّم إلى هذا التمثيل ، له صلة وثيقة بإطار الموضوع الخطابيّ[٩٧] ، وهذا السبب يُفترَضُ أن يكون معلومًا لدى أطراف الخطاب بوصفه رصيدًا من الافتراضات المسبقة مشتركًا بينهم[٩٨] ، وينبغي أن يكون مخزونًا في الذاكرة الوقائعيَّة التي تشتمل على وقائع خاصَّة بتجربة كلّ طرفٍ تواصليّ ، كما ينبغي أنْ يكون مخزونًا في الذاكرة المفهوميَّة لديهم[٩٩] وأرى أن يكون هذا السبب مخزونًا في ذاكرة المتلقِّي الوقائعيَّة التي تشتمل على تجربته الخاصَّة مع الخطاب بوصفه متتبِّعًا لوقائعه المتعاقبة التي تحمل في طيَّاتها أحداثًا بسيطة ومركَّبة لها صلة وثيقة باستمراريَّته وتداعياته ، وفي ذاكرته المفهوميَّة بوصف الخطاب جزءًا من معرفته بالعالم .

إنَّ السبب الذي دعا المتكلِّم (يعقوب عليه السلام) إلى استئناف المضمون عبر التمثيل هو استذكار العهد الذي قطعه الأبْناء على أنفسهم لأبيهم من قبل ، والذي ألزموا به أنفسهم بأنْ يحفظوا أخاهم يوسف عليه السلام ثمَّ نقضوه بكيدهم له ، والسبب ذاته مُختَزنٌ لدى بَنِيه ؛ لكونهم الطرف المشارك في العهد والمبادر إلى نقضه بالكَيْد ليُوسُف عليه السلام ، وإنْ جحدوا ذلك ظاهرًا ، ولا ريب في أنَّ هذا السبب مُختزنٌ في ذاكرة المتلقِّي المتتبِّع لوقائع النَّصِّ ، فيظهر أنَّ هناك تناصّ ذاتي مقاميّ يتجلّى بلجوء المتكلِّم إلى هذا التمثيل ، والمخاطبين إلى الإذعان ، فإنَّ شخصيَّة الأب ذاتها ، وأبناءه ذاتهم ، تارةً طلبوا منه أن يُرسل معهم أخاهم يوسف وأخرى أخاهم بنيامين ، بقطعهم العهد ذاته { ... وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[١٠٠] ، مع اختلاف المقاصد وزمن الوقائع التي تقع في حيِّز خطابٍ واحد ، فكان الموقف الحاليّ باعثٌ على استثارة موقف سابق مماثل[١٠١] ؛ لذلك كان التمثيل عنصرًا إحاليًّا على مجموعة أحداث ضمَّها قوله تعالى : { قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۞

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۞ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ۞فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۞ قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ۞ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [١٠٢] ، فإنَّ العلاقة الاجتماعيَّة بين المتكلِّم (النبي يعقوب عليه السلام) والمتلقِّين (بَنِيْه) ، والتماثل الجزئيّ للسياق المقاميّ بما يحمله من أحداث لها صلة وثيقة بمحتوى قضيَّة التمثيل دعت إلى تمثيل المضمون ، لما يحمله هذا الأخير من معنى ضمني لذلك الموقف وأحداثه ، وما تركه في نفس يعقوب عليه السلام من أثر جعله غير مطمئنٍ لعهدهم[١٠٣] .

الاستلزام الحواري :

لا يكاد القارئ يُواجَه بهذا المفهوم حتى ينصرف ذهنه إلى التداوليَّة ؛ لأنَّه أكثر المفاهيم التصاقًا بدراستها ، وتعود نشأة البحث فيه إلى محاضرات الفيلسوف غرايس (H . P . Grice) عام ١٩٦٧ م في جامعة هارفارد حيث قدَّم تصوره عنه وما يقوم عليه من أسس منهجيَّة[١٠٤] ، إذْ لاحظ أنَّ بعض القضايا تنحرف عن دلالة محتواها القضويّ إلى معنى آخر يقصده المتكلِّم ، فيكون للقضيَّة معنى حرفيّ وآخر مُسْتَلْزِم[١٠٥] ، نحو: الحوار بين الأستاذين (أ) و(ب) :

((الأستاذ (أ) : هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعيَّة في قسم الفسلسفة ؟

الأستاذ (ب) : إنَّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز .))[١٠٦] ، فقد لاحظ غرايس أنَّ إجابة الأستاذ (ب) تحمل معنًى حرفيًّا هو أنَّ الطالب (ج) متميِّزٌ في لَعِب الكرة ، أمَّا المعنى المُسْتَلْزَم فهو أنَّ الطالب (ج) ليس قادرًا على مواصلة دراسته الجامعيَّة[١٠٧] . من هنا يكون بالوسع حدُّ الاستلزام الحواريّ بأنَّه : إحالة أحد طرفيّ الحوار على مضمون مُدْرَك لدى الآخر .

ومن شواهد الاستلزام الحواريّ الذي تحقَّق عبر استئناف تمثيل المضمون بعد أنْ طلب الأبناء من أبيهم يعقوب عليه السلام أن يُرسل معهم أخاهم بنيامين في قوله تعالى على لسانهم : {فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[١٠٨] ، جاء رَدُّ أبيهم في قضيَّة ظاهرها إنشائيَّة ومضمونها سالبة حمليَّة {... هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ ...}[١٠٩] ؛ لخروج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى النفي[١١٠] ، وقد حوت بِنْيَتُها تمثيلًا للمضمون (كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ) ، إذْ يحيل المستبدل الضميريّ (الكاف) على المخاطبينَ الحاضرينَ ، ويحيل المستبدل الضميريّ (الهاء) في أخيه على (يوسف عليه السلام) إحالة داخليَّة قبليَّة ذات مدى بعيد ، ويحيل الظرف (قبلُ) على زمان واقعة كيد الأخوة لأخيهم (يوسف عليه السلام) بعد أنْ قطعوا على أنفسهم لأبيهم الذكر الأوَّل لعهدهم (وإنَّا له لحافظونَ) ، فكان ما أثاروه من استئناف عبر التكرير البسيط لذلك العهد مدعاة للتذكير بنقضه ؛ لذا يُنتَزَعُ من فحوى التمثيل { كَمَا

أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ }[١١١] في هذه المحاورة الاستلزام الحواريّ : لا آمنُ لعهدكم لأنَّكم نقضتموه من قبلُ حينما عاهدتموني بالحفاظ على يوسف[١١٢] ، وبذا يقدِّم الاستلزام الحواريّ بوساطة تمثيل المضمون ((تفسيرًا صريحًا لقدرة المتكلّم على أنْ يعني أكثر ممّا يقول بالفعل ، أي : أكثر ممّا تؤدِّيه العبارات المستعملة)) [١١٣] ، وهذا يتعلَّق بطاقة اللغة الذاتية وإمكانات المتكلِّم المرتبطة بطاقته الخارجية على النهل منها[١١٤].

وفي قوله تعالى : {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً }[١١٥] شاهد آخر للاستئناف بتمثيل المضمون (كَما أَرْسَلْنا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) ، إذْ يحيل إحالة قبليَّة على واقعة إرسال الله تعالى النبي موسىعليه السلام إلى فِرْعَوْنَ وقومِه وتكذيبهم له ، فكانت عاقبتهم العذاب ثمَّ الهلاك في قوله تعالى : { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[١١٦] ، وقوله تعالى :{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۞ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۞ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ }[١١٧] ، حيث يأتي هذا التمثيل في سياق تهديد المُكذِّبين برسالة النبي محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) من أهل مَكَّة وغيرها ، فمثَّل له بالنبي موسىعليه السلام ومثَّل لهم بفرعون ، ووجه التمثيل هو صدقُ الرسالة التي يحملها النبيّ وتكذيب المُرسَل إليهم به ، وينصرف هذا التمثيل إلى استلزام حواريّ مؤدّاه الوعيد ، أي أنَّ مصير المكذِّبين بالرسول كمصير فرعون وقومه[١١٨] ، ومن العبث أنْ يكون التمثيل بإرسال موسىعليه السلام إلى فرعون دون أن يكون لدى أهل مكَّة علمٌ بما حدث لفرعون الذي تمادى في الظلم ، وكذَّب الرسول ، فمن المؤكَّد أنَّ هذه الواقعة شائعةٌ بين أوساطهم[١١٩] ؛ لذا جاء خطاب الباث مشتملًا على الاستلزام الحواريّ باستئناف النَّص عبر تمثيل المضمون ؛ لعلمه بأنَّ المُخاطَب (المجتمع المكِّيّ) يختزن في ذاكرته الجمعيَّة تلك الواقعة . ويأتي التمثيل بما يحمله من معنى ضمني فكرةً داعمَةً لما قبله من قضايا[١٢٠] ، إذْ يرتبط محتوى القضيَّة التي اشتملت على التمثيل بمحتوى القضايا التي تضمَّنت الخطاب للنبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، والتلويح للمكذِبينَ بالعذاب وذكر بعض أصنافِه ، والإشارة إلى ما يحدث يوم تقوم الساعة[١٢١] في قوله تعالى : {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۞ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۞ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۞ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا }[١٢٢] ، وإذا كان التمثيل قد تضمَّن استلزامًا حواريًّا فَحْواه الوعيد ، يمكن القول أنَّ هذا الاستلزام جاء استئنافًا لذكره الأوّل في

الآيات التي تضمَّنت الواقعة سَلَفًا[١٢٣] ، تلك الآيات التي ما وردت إلّا لتكون الأحداث ونتيجتها عِبْرَةً جليَّة للمكذّبين بالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلَّم) ، وزجرًا ووعيدًا لهم[١٢٤] ؛ لذا يمكن القول باستئناف الوعيد الذي قصده المُرْسِل من التمثيل وذكره الأوَّل .

وفي قوله تعالى : {وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ }[١٢٥] وقع التمثيل بالأداة (مثل) ، ويتجلّى في الآية خطاب النبيّ شُعيْب عليه السلام لقومه ، وقد توافر هذا الخطاب على تمثيل مضمون نتائج وقائع تقدَّم ذكرُها على هذه الآية في سورة هود إذْ كانت عاقبة قوم نوح : { إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ }[١٢٦] ، وعاقبة قوم هود : { أُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ}[١٢٧] ، وعاقبة قوم صالح : { وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[١٢٨] ، وعاقبة قوم لوط : { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ}[١٢٩] ، فضلًا عن مواضع متفرِّقة من الخطاب المَكّيّ[١٣٠] ، فلا ريب في أنَّ التمثيل بمضمون (ما أصابَ قومَ نوحٍ) وما عُطِف عليه يحيل إلى تلك الوقائع التي ورد ذكرُها الأوَّل سابقًا إحالة داخليَّة قبليَّة تختلف في مدياتها بحسب تمظهرها في الخطاب ، وفيه يُحذِّر النبيّ شُعَيْبُ عليه السلام قومه من وقوع عذاب الاستئصال كالغرق الذي حلَّ بقوم نوح عليه السلام ، أو الريح العقيم التي لم تبقِ من قوم هود عليه السلام ، والرجفة التي حلَّت بقوم صالح عليه السلام ، والخسف الذي حلَّ بقوم لوط[١٣١] ، والسبب الذي دعا المتكلّم إلى التلويح عبر استئناف المضمون بوساطة التمثيل هو مماثلة قومه لتلك الأقوام في صدِّهم عن سبيل الله تعالى وتكذيبهم لرسله .

وكذلك استؤنِف هذا المضمون عبر التمثيل في قوله تعالى : {فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ }[١٣٢] ، إذْ يُحيل التمثيل بـ (أَيَّامِ الَّذينَ خَلَوا) إلى ما سبق من وقائع الهلاك[١٣٣] لقوم نوح ، وأقوام رسلٍ آخرين ، وفِرعَون ومَنْ تابعه[١٣٤] ، إلَّا أنَّ المضمون المُستأنف في هذه القضيَّة ورد في سياق الخطاب الموجَّه من الله تعالى للنبي محمد(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بخصوص غير المؤمنين من قومه [١٣٥] ، وهذا يكشف عن طبيعة استمراريَّة النَّصِّ وتماسكه ، وقدرة الباث على استئناف مضامين الوقائع عبر التمثيل لها ؛ لمناسبتها للواقع الذي يعالجه السياق من مماثلة سجيَّة قوم النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لسجايا الأقوام المُهْلَكين[١٣٦] ، واستؤنِف هذا المضمون عبر التمثيل في قوله تعالى على لسان مؤمنِ آل فرعون : {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ }[١٣٧] ، حيث أراد بالأحزاب الأقوام الذين كذَّبوا أنبياءهم وناصبوهم وهم قوم نوح وهود وصالح (عليهم السلام) وأراد باليوم ما وقع عليهم من هلاك فيه[١٣٨] ، حيث خُصِّص ذلك اليوم على لسان المتكلِّم مُستأنِفًا تمثيل المضمون في قوله تعالى : {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ }[١٣٩] ، فقد استدعى إلى ذهن المخاطب أصناف العذاب الذي حلَّ بالأقوام السابقين ، وهذا لا يعني قصر الوظيفة التواصليَّة لهذا الخطاب على المتحاورينَ فيه : النبيّ شعيب وقومه ، أو النبيّ محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وقومه ، أو مؤمن آل فرعون وقومه ، بل يمتدُّ توجيه الخطاب إلى

قارئِه متجاوزًا المستوى الشخصيّ والزمكانيّ ؛ لأنَّ منتج الخطاب هو الله تعالى ، والمتلقِّي هو الإنسان نبيًّا كان أم غيره ممَّن له القدرة على التدبُّر وتحصيل العِبْرة ، بذا يكون استئناف المضمون عبر التمثيل قد حقَّقَ القصد الذي يرومه المتكلِّم ، إذْ استغنى الخطاب عن تكرير تلك الوقائع باستدعاء مضامينها ، واكتُفِيَ بالترميز لها .

النتائج :

١) يقوم تمثيل المضمون مقام الرمز المتجسدن ، شريطة اعتماد المتلقِّي على مرجعيّاته الثقافيَّة التي لا تنفكّ عن عالم النَّصِّ ؛ لأنَّ ((الرمز يشتغل كتمثيل قريب لشيء بعيد بالنسبة إلى الفاعليّات الإدراكيَّة الذهنيَّة المتَّجهة صوب هذا الشيء ، وخاصة في غيابه ، وأرى أنَّ الشفرة التي يحقِّقُها الرمز تعتمد في تفكيكها على إدراك المتلقِّي لعوالم النّصوص المتعالقة عبر تمثيل المضمون بوصف هذا التمثيل رمزًا لذلك المضمون ؛ لأنَّ المعنى الضمني– كما يراه براون ويول – له ملامح مستقاة جزئيًّا من المعنى المباشر ، ولا ريب في أنَّ الخطاب قد يكون حاملًا لهذا المعنى المباشر ، أو لا ، وانطلاقًا من هذه الرؤية يكون التمثيل إمَّا داخليًّا أو خارجيًّا .

٢) تأخذ أدوات التشبيه وظيفتها في استئناف المضمون بوساطة التمثيل ، لتسهم في الدمج الدلاليّ لمضمون النَّصِّ ، وقد ورد استئناف المضمون بوساطة التمثيل بـ(الكاف) مجرَّدًا في مواضع متفرِّقة من الخطاب المكِّيّ ، ولكنَّ المضمون المُمثَّل به يحيل تارة إلى مضمون سابق أو لاحق في الخطاب فيكوِّنُ استئنافًا نصيًّا ، والعلاقة – وجه الشبه – المنتزعة بينهما داخليَّة .

٣) قد تنعدم السمات المعجميَّة والصرفيَّة بين الرمز ومرجعه ، فيُصار إلى السمات الدلاليَّة التي تجمع بين خيوط الرمز والمحتوى الدلاليّ لمرجعه .

٤) إنَّ التمثيل يؤدِّي أثره التواصليّ في تحقيق سعي المتكلّم لمقاصده ، إذْ يُشكِّل التمثيل مصاديق لغويَّة لمفاهيم تُعدُّ الحجر الأساس للتداوليَّة .

الهوامش

١- ينظر : إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة : ترجمة : د . سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (ط : ١) ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨ م : ٢٧٠ .
٢- ينظر : تهذيب اللغة : ١٥ / ٧٢ ، ولسان العرب : ٤٦ / ٤١٣٢ (مثل) .
٣- الرعد : ٦ .
٤- مفاتيح العلوم : محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت : ٣٨٧هـ) ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، (ط : ٢) ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩ م : ١١٥ .
٥- ينظر: أساس البلاغة : ٢ / ١٩٣ . حيث لم يفرَّق الزمخشري بين التشبيه والتمثيل في هذه الموارد .
٦- ينظر : أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (ط : ١) ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م : ٧٥ .
٧- الطراز : ٣ / ١٩٢ .
٨- الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ (ت ١٠٩٤ هـ) : ، تحقيق : د.عدنان درويش و محمد المصريّ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، (ط : ٢) ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م : ٢٩٦ .
٩- فنّ التشبيه بلاغة . أدب . نقد : علي الجندي ، مكتبة نهضة مصر ، (ط : ١) ، ١٩٥٢م : ١١ .

١٠- ينظر : إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة : ٢٧٠ .
١١- اللسانيات والفلسفة دراسة في الثوابت الفلسفية للغة : إيتين جيلسون ، ترجمة : د . قاسم المقداد ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية - دمشق ، (ط : ١) ، ٢٠١٧ م - ١٤٣٨ هـ : ٢٦٥ .
١٢- مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني : صابر الحباشة ، دار صفحات للدراسات والنشر ، سورية - دمشق ، (ط : ١) ، ٢٠١١ م : ١٤٧ .
١٣- الأنساق الثقافية في القرآن الكريم دراسة في معالم النص القرآني الثقافية في ضوء المنظومة السياقية : د . أزهار علي ياسين الغالي ، منشورات المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، النجف الأشرف ، (ط : ١) ، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م : ١١٨ .
١٤- ينظر: معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزيّة : ٣٧٤ .
١٥- ينظر : الإدراكيات أبعاد إبستمولوجيَّة وجهات تطبيقية : د . محيي الدين محسب ، دار كنوز المعرفة ، عمّان - الأردن ، (ط : ١) ، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م : ١٠٢ .
١٦- ينظر : تحليل الخطاب : ٤٢ .
١٧- ينظر : التأويل بين السيميائيات والتفكيكية : أمبرتو إيكو ، ترجمة وتقديم : سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، (ط : ٢) ، ٢٠٠٤ م : ٤٢ ، وتأويل النص القرآني وقضايا النحو : د . محمود حسن الجاسم ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، (ط : ٢) ، ٢٠١٦ م : ١١٤ .
١٨- أقصد بالسمات المعجميَّة الخاصَّة والعامَّة : التكرير البسيط ، والتكرير المعجميّ ، والمستبدلات الضميريَّة ، أمَّا الصرفيَّة فهي ما يتَّسم به المحمول الفعلي من قابليَّة اشتقاقيَّة وما ينتج عنها من تحوّل محموليّ - موضوعيّ والعكس ، وتحوّل زمنيّ .
١٩- ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن : عبد الله بن الحسين بن ناقيا (ت ٤٨٥ هـ) ، تحقيق : د . محمود حسن أبو ناجي الشيباني ، مركز الصف الألكتروني ، بيروت - لبنان ، (ط :١) ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م : ٣٥ .
٢٠- ينظر : الكتاب : ١ / ٣٢ ، و٢ / ١٧١ ، والأصول في النحو : ٢ / ٢٢٠ ، ولسان العرب : ١/ ١٨٣(أيا) ، والطراز : ١ / ١٠٩ .
٢١- يونس : ٢٤ .
٢٢- الأنعام : ٩٩ .
٢٣- إبراهيم : ٣٢ .
٢٤- الكهف : ٤٥ .
٢٥- ينظر : أسرار البلاغة في علم البيان : ٨٧ ، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٢٨ .
٢٦- ينظر : التحرير والتنوير : ١١ / ١٤١ .
٢٧- يونس : ٢٤ .
٢٨- ينظر : الكتاب : ٢ / ١٧١ ، والأصول في النحو : ٢ / ٢٢٠ .
٢٩- العين : ٤ / ٤٥١ (غني) .
٣٠- ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ٢/ ٣٦٢ .
٣١- الأعراف : ٢٧ .
٣٢- الأعراف : ٢٠ - ٢٤ .
٣٣- هذه الواقعة لا تقتصر على سورة الأعراف فقد وردت في سورة : الحِجر ، والكهف ، وطه ، وص . فضلًا عن ورودها في سورتي البقرة وآل عمران المدنيَّتين ؛ لذا يمكن القول بإحالة التمثيل القبليَّة أو البعديَّة لمضمون هذه الواقعة .
٣٤- الأعراف : ١٩ .
٣٥- ينظر : اللسانيات الخطابية في قصص الأنبياء (آدم وإبراهيم وعيسى) عليهم السلام في القرآن الكريم : تارا فرهاد شاكر ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، (ط : ١) ، ٢٠١٨ م : ٣٦ .
٣٦- هود: ٩٥.
٣٧- هود: ٦٧ ، ٦٨ .
٣٨- ينظر : مقاييس اللغة : ١ / ٢٦٨ (بعد) .
٣٩- ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٧٩ .
٤٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت : ٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط : ١) ، ١٤١٨ هـ : ٣ / ٢٠ .
٤١- الأعراف : ٧٣ .
٤٢- هود : ٦١ - ٦٧ .
٤٣- الأعراف : ٧٨ .

٤٤- هود : ٦٧ .
٤٥- الأعراف : ٩١ .
٤٦- ينظر : التفسير الكبير : ١٨ / ٣٩٣ ، والتحرير والتنوير : ١٢ / ١٥٤ .
٤٧- هود: ١١٢ .
٤٨- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : د . طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، (ط : ١) ، ١٩٩٨ م : ٢١٥ .
٤٩- الأنعام : ١٤ .
٥٠- الأنعام : ١٦٣ .
٥١- يونس : ٧٢ .
٥٢- يونس : ١٠٤ .
٥٣- النمل : ٩١ .
٥٤- الزمر : ١١ .
٥٥- الزمر : ١٢ .
٥٦- الشورى : ١٥ .
٥٧- ينظر : تداوليَّة الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ : د . حياة مختار أم السعد ، دار كنوز المعرفة ، عمّان ، (ط :١) ، ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ : ٧٧ .
٥٨- القصص : ٧٩ .
٥٩- القصص : ٧٦ .
٦٠- القصص : ٧٦ .
٦١- ينظر : إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة : ٢٧٢ .
٦٢- ينظر : التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج : ٥٨ .
٦٣- المؤمنون : ٨١ .
٦٤- المؤمنون : ٨٢ .
٦٥- المؤمنون : ٨٢ .
٦٦- ينظر : إسهامات أساسيَّة في العلاقة بين النص والنحو والدلالة : ٢٧٢ .
٦٧- ينظر : الطراز : ٣ / ١٦٩ ، وروح المعاني : ٩ / ٢٥٧ .
٦٨- المؤمنون : ٣٥ - ٣٧ .
٦٩- الإسراء : ٤٩ .
٧٠- الإسراء : ٩٨ .
٧١- النمل : ٦٧ .
٧٢- الصافات : ١٦ .
٧٣- الصافات : ٥٣ .
٧٤- ق : ٣ .
٧٥- الواقعة : ١٠ .
٧٦- المؤمنون : ٨١ .
٧٧- المؤمنون : ٨٢ .
٧٨- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ : ٢٠٧ .
٧٩- ينظر : تحليل الخطاب : ٤١ .
٨٠- الأعراف : ١٤٧ .
٨١- ينظر : مقاييس اللغة : ٢ / ١٢٩ (حبط) .
٨٢- ينظر : الكتاب : ٢ / ١٧١ ، والأصول في النحو : ٢ / ٢٢٠ .
٨٣- إبراهيم : ١٨ .
٨٤- ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٨٠ .
٨٥- ينظر : روح المعاني : ٥ / ٥٩ .
٨٦- ينظر : التفسير الكبير : ٦ / ٣٩٣ .
٨٧- ينظر: مقاييس اللغة : ٢ / ١٣٠ (حبط) .

٨٨- ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٣ .
٨٩- الفرقان : ٢٣ .
٩٠- ينظر : المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤ / ٢٠٧ .
٩١- ينظر : الوجيز : ٢١ / ٥٨٠ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢ / ٤٥٤ ، ٣ / ٥٤٥ ، ٤/ ٢٠٧ ، والتفسير الكبير : ١٩ / ٨٠ ، والتحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٢ .
٩٢- تحليل الخطاب : ٢ .
٩٣- ينظر : تحليل الخطاب : ٩٨ .
٩٤- ينظر : المصدر نفسه : ٩٧ .
٩٥- مدخل إلى علم لغة النص مشكلات بناء النص : ٩٣ .
٩٦- يوسف : ٦٤ .
٩٧- ينظر : تحليل الخطاب : ٩٤ .
٩٨- ينظر : المصدر نفسه : ٩٦ .
٩٩- ينظر: النص والخطاب والإجراء : ١٩٠ - ١٩١ .
١٠٠- يوسف : ١٢ ، ٦٣ .
١٠١- ينظر : تفسير البحر المحيط : ٥ / ٣٢٠ .
١٠٢- يوسف : ١١ - ١٨ .
١٠٣- ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٢٥٩ .
١٠٤- ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : د . محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر، (ط : ١) ، ٢٠٠٢ م : ٣٢ .
١٠٥- ينظر : التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، د . مسعود صحراوي ، دار الطليعة - بيروت ، (ط : ١) ، ٢٠٠٥ م : ٣٣ .
١٠٦- التداولية عند العلماء العرب : ٣٣ .
١٠٧- ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
١٠٨- يوسف : ٦٣ .
١٠٩- يوسف : ٦٤ .
١١٠- ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ١٦ .
١١١- يوسف : ٦٤ .
١١٢- ينظر: التفسير الكبير : ١٨ / ٤٧٩ ، والتحرير والتنوير : ١٣ / ١٦.
١١٣- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها : العياشي أدواري ، دار الأمان ، الرباط ، (ط : ١) ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م : ١٩ .
١١٤- ينظر : التحليل اللساني البنيوي للخطاب الشفوي : أ . د . عبد الجليل مرتاض ، (بحث) ، مجلة الأثر ، مجلة الآداب واللغات الأجنبية ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع : ١ ، ٢٠٠٢ : ٣٥ .
١١٥- المزمل : ١٥ .
١١٦- الأعراف : ١٠٣، ١٠٤ .
١١٧- الأعراف : ١٣١ - ١٣٧ .
١١٨- ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥ / ٣٨٩ .
١١٩- ينظر : تفسير البحر المحيط : ٨ / ٣٥٦ .
١٢٠- ينظر : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظريَّة المسالك والغايات : د . محمد محمد يونس علي : دار كنوز المعرفة ، عمّان - الأردن ، (ط : ١) ، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م : ١١٨ .
١٢١- ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسيّ البغداديّ (ت ١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، : ٢٩ / ١٠٧ .
١٢٢- الزمر : ١١- ١٤ .
١٢٣- الأعراف : الآيات ١٠٣ - ١٣٧ .
١٢٤- : ينظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : محمد الأمين بن عبد الله الأُرميّ العَلَويّ الهَرَرِيّ الشافعيّ ، إشراف ومراجعة د . هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، بيروت - لبنان،(ط :١) ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠١ م : ١٠ / ٤٧ .
١٢٥- هود : ٨٩ .

١٢٦- هود : ٣٧ ، والمؤمنون : ٢٧ .
١٢٧- هود : ٦٠ .
١٢٨- هود: ٦٧ .
١٢٩- هود : ٨٢ .
١٣٠- من تلك المواضع : سورة إبراهيم الآية : ٩ ، والفرقان : ٣٧ ، والشعراء : ١٢٠ ، والصفات : ٢ ، وص : ١١ - ١٤ ، وق : ١٤ ، والذاريات : ٤١ - ٤٦ ، والنجم : ٥٢ ، والقمر : ١١ ، ١٢ ، ١٩ ، ٣١ .
١٣١- ينظر : التفسير الكبير : ١٨ / ٤٨ .
١٣٢- يونس : ١٠٢ .
١٣٣- ينظر : التحرير والتنوير : ١١ / ٢٩٨.
١٣٤- يونس : ٧١ - ٩٢ .
١٣٥- ينظر: التحرير والتنوير : ١١ / ٢٩٧ .
١٣٦- ينظر : التحرير والتنوير : ١١ / ٢٩٧ .
١٣٧- غافر : ٣٠ .
١٣٨- ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٢١ / ٣٢٨ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٦٩١هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، (ط : ١) ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م : ٥ / ٥١ .
١٣٩- غافر : ٣١ .

قائمة المصادر

أوَّلًا : القرآن الكريم

ثانيًا : الكتب

- الإدراكيات أبعاد إبستمولوجيَّة وجهات تطبيقية : د . محيي الدين محسب ، دار كنوز المعرفة ، عمّان – الأردن ، (ط : ١) ، ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م .
- أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت – لبنان ، (ط : ١) ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها : العياشي أدواري ، دار الأمان ، الرباط ، (ط : ١) ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
- أسرار البلاغة في علم البيان : ٨٧ ، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب .
- أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (ط : ١) ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م .
- إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة : ترجمة : د . سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (ط : ١) ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨ م .

- الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت ، (ط : ٣) ، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ م .
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : د . محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر، (ط : ١) ، ٢٠٠٢ م .
- الأنساق الثقافية في القرآن الكريم دراسة في معالم النص القرآني الثقافية في ضوء المنظومة السياقية : د . أزهار علي ياسين الغالي ، منشورات المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، النجف الأشرف ، (ط : ١) ، ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٦٩١هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (ط : ١) ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت : ٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (ط : ١) ، ١٤١٨ هـ .
- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية : أمبرتو إيكو ، ترجمة وتقديم : سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، (ط : ٢) ، ٢٠٠٤ م .
- تأويل النص القرآني وقضايا النحو : د . محمود حسن الجاسم ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، (ط : ٢) ، ٢٠١٦ م .
- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د . ط) ، ١٩٨٤ م .
- تحليل الخطاب : ج .ب . براون ، وج . يول ، ترجمة : د .محمد لطفي الزليطي ، ود . منير التريكي ، جامعة الملك سعود ، (د . ط) ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظريَّة المسالك والغايات : د . محمد محمد يونس علي : دار كنوز المعرفة ، عمّان – الأردن ، (ط : ١) ، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م .
- التحليل اللساني البنيوي للخطاب الشفوي : أ . د . عبد الجليل مرتاض ، (بحث) ، مجلة الأثر ، مجلة الآداب واللغات الأجنبية ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع : ١ ، ٢٠٠٢ .
- التحليل اللغوي للنَّصِّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج : كلاوس برينكر ، ترجمة أ . د . سعيد حسن بحيريّ ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (ط : ٢) ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .

- تداوليَّة الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ : د . حياة مختار أم السعد ، دار كنوز المعرفة ، عمّان ، (ط :١) ، ٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ .
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، د . مسعود صحراوي ، دار الطليعة – بيروت ، (ط : ١) ، ٢٠٠٥ م .
- تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (ط : ١) ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
- التفسير الكبير : الفخر الرازيّ ، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، درا إحياء التراث العربي / بيروت – لبنان ، (ط : ١) ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكاتب العربي ، (ط : ١) ، ١٩٦٧.
- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، (ط : ١) ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- الجمان في تشبيهات القرآن : عبد الله بن الحسين بن ناقيا (ت ٤٨٥ هـ) ، تحقيق : د . محمود حسن أبو ناجي الشيباني ، مركز الصف الألكتروني ، بيروت – لبنان ، (ط :١) ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : محمد الأمين بن عبد الله الأُرميّ العَلَوِيّ الهَرَرِيّ الشافعيّ ، إشراف ومراجعة د . هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، بيروت – لبنان،(ط :١) ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠١ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسيّ البغداديّ (ت ١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- الطراز : يحيى بن حمزة بن علي ابن إبراهيم العلويّ (ت ٧٣٩ هـ) : تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت،(ط :١) ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .
- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق د . مهدي المخزومي ، ود . إبراهيم السامرائي ، بغداد ، (د . ط) ، ١٩٨٥م .
- فنّ التشبيه بلاغة . أدب . نقد : علي الجندي ، مكتبة نهضة مصر ، (ط : ١) ، ١٩٥٢م .
- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (ط : ٣) ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

- الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ (ت ١٠٩٤ هـ) : ، تحقيق : د.عدنان درويش و محمد المصريّ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، (ط : ٢) ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
- لسان العرب : جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ) ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخَرَينِ ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) .
- لسان العرب : جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ) ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخَرَينِ ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) .
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : د . طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، (ط : ١) ، ١٩٩٨ م .
- اللسانيات الخطابية في قصص الأنبياء (آدم وإبراهيم وعيسى) عليهم السلام في القرآن الكريم : تارا فرهاد شاكر ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، (ط : ١) ، ٢٠١٨ م .
- اللسانيات والفلسفة دراسة في الثوابت الفلسفية للغة : إيتين جيلسون ، ترجمة : د . قاسم المقداد ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية – دمشق ، (ط : ١) ، ٢٠١٧ م – ١٤٣٨ هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز : أبومحمد عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة الأندلسيّ (ت ٥٤٦ هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت – لبنان ، (ط : ١) ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
- مدخل إلى علم لغة النص مشكلات بناء النص : زتسيسلاف واورزنياك : ترجمة : أ . د . سعيد حسن بحيريّ ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، (ط : ٢) ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .
- معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزيّة : أوغدن ورتشاردز ، ترجمة : د . كيان أحمد حازم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، (ط: ١) ، ٢٠١٥م .
- مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني : صابر الحباشة ، دار صفحات للدراسات والنشر ، سورية – دمشق ، (ط : ١) ، ٢٠١١ م .
- مفاتيح العلوم : محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت : ٣٨٧هـ) ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، (ط : ٢) ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٩ م .
- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (ط : ٢) ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، بيروت – لبنان ، (د . ط) ، ٢٠٠م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، درا الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (ط :١) ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .